# إهداء

إلى طفلتي ... آن

أهدي هذا الديوان

«قصائد من بريطانيا»

# مقدمة

لست من المؤمنين بجدوى المقدمات ... وكنت أفضل ألا تكون هناك مقدمة وعندما فرضتها ضرورة الحدث آثرت ألا تكون عن الديوان رغم وجودها بين دفتي الغلاف فهي إجابات للاسئلة التي طرحت علي في أكثر من مجال في أوقات متفاوتة

وقد رأيت وأنا في منتصف العقد الرابع من العمر أن يكون لي موقف ... وأن ألتزم برأي في هذه القضايا ... قد لا تصل درجة عالية من النضوج ولكنها لا تخلو من قسط وافر من الصدق والأمانة الأدبية .

إجابات مبتسرة بالصورة التي تفرضها مساحة الورق وطول نفس القارىء المتتبع للقضايا ... وقدرتي على الإقناع بأقل قدر من الكلمات وأنا أعرف سلفاً ان الرأي سيثير قضايا أكثر أو أقل أهمية ... وقد يفتح أبواباً ظلت مغلقة بفعل الزمن في الرحلة الطويلة التي غاب فيها وجهي عن – مطالعة الناس وقلمي عن معانقة الورق .

ولما كان الإيجاز طابع كل مقدمة فلتكن الإجابة عن رأيي في تجربة الغربة . إلى أي حد أثرت حسي الفني أو أفقرت موهبة الإبداع ؟ ورأيي في الشعر.قضية الرمز والوضوح ... الى حد نشطت الحركة الأدبية أو قعدت بها ؟.. وأخيراً علاقة الطب النفسي بالأدب وهو رأي أثير في كثير من الصحف السيارة في بداية الستينيات وما زال يطاردني السؤال في التجمعات الخاصة والمجالات الأدبية العامة ...

انني لا أملك قدرة « كولن ويلسون » في ( ابعاد الانسان) لأطرح اجابات قاطعة للأسئلة في غاية التعقيد ولكني املك حصيلة تجربة في مجال عملي تستلزم مني استيعاب مهام المرحلة النفسية التي يمر بها الجيل المعاصر ... من أنا ؟ ومن سأكون ؟

# تجربة الغربة

إن الحديث عن الغربة لا يحتاج الى مقدمة ... انها الغربة وكفى ... ولكننا سنحتاج الى تعريف البعد الثالث للغربة النتيجة الموضوعية للتفاعل بين الغربة والإنسان ... الوحدة التي بدون اسم ... وحدة هي أقسى من وحدة الصخر في أعلى قمة الجبل ... انها ليست غربة عبد المعطي حجازي في ( مدينة بلا قلب ) ... غربة الريفي الذي طحنت أعصابه المرهفة حضارة المدينة ولكنها الفراغ النفسي الناشيء من الإحساس بالغربة في وطن آخر، شعور بالمأساة... بشكل أكثر حدة وأبعد عمقاً...

شعور الغربة تمزق نفس حاد ... صراع الانسان في أن يكون محباً ومحبوباً في بلاد لا تتعرى من أجل المحبة فقط ... في أن يكون قابلا ومقبولا بين أناس يقيسون سلوك الفرد بالمسطرة وعواطفه بالترمومتر ... أن يكون حصيلة مليون عاطفة ... تصب في ناصية نهر واحد ... فهو يخشى ان يفقد حنان كل فرد ... فيقول له المجتمع : انت جاهل أم مجنون ؟ فيصيبه الصداع النصفي وتسحقه الأفكار الاضطهادية ويعود في

يده قبضة ريح بعد أن غاص في اعماق الحضارة الضحلة ... فارتد الى طبيعته الأولى بصدمة نفسية جديدة قدمت له في طبق فضي .

تجربتي ليست غربة ( كامو وكافكا ) حيث تتجسّد استحالة النصر وتتجدد الرغبة في الرحيل الى جزر مجهولة ... بعيدة عن عيون الناس « كانت المدينة مومساً عجوزاً ذات وجه شاحب متعب لا يعرف الابتسام » .

إن الغربة لوحة تجسم قلقاً نفسياً يعيشه الفرد في اطـــار مأساوي مغلق في أبشع صور الظلام ... فالفرد في الغربة رقم في كتيبة مقاتلة تخرج في مهمة خطرة قـد لا تعود بعدها وقد تعود بعد ان فقدت معظم افرادها في حقل الألغام الذي زرعه العدو ... هذا العالم المعاصر ... الذي مسخ شخصية الفرد ... وانكب في معاملة الحديثة يشرح عواطفه بالعقل الالكتروني يزيد حواسه الخمس ... بحواس جديدة يستطيع بها ان ينسى القلق ويحارب التوتر ويضع اعصابه في ثلاجة لا تتأثر بحرارة الواقع المعاش .

ان الغربة تجسد المأساة بشكل مفجع ... واذا لم تضف جديداً لمأساة كل فرد داخل جدران عزلته النفسية فإنها تجعل الألوان صارخة والنتوءات بارزة في جسم حياتنا التي يحاول المجتمع أن يستعمل كل مهارة المساحيق الحديثة حتى توافق الصورة المزاج السياسي والوضع الاقتصادي والشرور الاجتماعية. وقد استجاب أكثر الناس لهذه العملية . عملية غسل المخ وآثروا أن يخضعوا للضرورة فانغمسوا في ملذات الحياة ... بصورة انتحارية تعاطوا المخدرات ومارسوا الجنس وعاشروا المومسات وأصيبوا بالمرض العصبي، أعلى مراحل الاستجابة الفورية للسباق الحضاري الذى لم ينطلق من حلبة واحدة ولم تحدد له ساعة صفر.

لقد أوشكت الغربة ان تدفعني في هذا الاتجاه ... ولكنني وقفت كشجرة الصنوبر أمام رياح عاتية تهب من كل الجهات . ودهنت جلدي بطبقة سميكة من جلد التماسيح المستورد من بلادنا وحقنت شرياني بجرعة المصل الواقي لجنون العصر حتى أصبح بيني وبين دخول الدير ومناسك العبادة خطوات ... فوقفت بالخارج ممسكاً بمسبحتي القديمة لإيماني الصميمي بأن ارضنا القديمة تتحول ... ونحن ندور كالشمس في فلك مرسوم

لنخرج في النهاية نحمل في أيدينا شهادة جديدة باجتيازنا مرحلة الخطورة .

ولكن لقد فتحت الغربة عيوني على اشياء كنت أتحسسها ولا أراها ولفرط ما آمنت بها ... كنت أزورها كالضريح ورفضت حمل مصباح علاء الدين خشية ان اكتشف ان الصنم الذي عبدته كان وهماً عالقاً في ذهني لا وجود له داخل الضريح المغلق ومفاتيحه في جيب العقيدة . وروضتني على – ممارسة التفتح الذهني ورياضة الأخـذ والعطاء وخلصتني من عنترية الفكر وديماجوجية العقيدة . فلم اعد ذلك الثور الاسباني الذي يهيج لمجرد رؤية اللون الأحمر ... واعطتني فرشاة جديدة ... وعلبة ألوان وقطعة قماش ابيض لأرسم نفسي امـــام مرآتها الصافية ... لأجد فرصة لقياس المسافة بين الأصل والصورة... وكانت النتيجة تحليلاً نفسياً دقيقاً لشخصيتي على درجة عالية من الذكاء ... أكثر عمقاً من النقد الذاتي الذي مارسناه سنوات طويلة ... وطويناه في ملفاتنا السرية لأنه لم يكن صورة مطابقة لتطلعاتنا الشخصية ... ورغباتنا المكبوتة ...

# الطب ... والأدب

ليس من باب المكابرة أن نقول ان الطب النفسي من بين كل فروع الطب البشري أكثر قدرة على فتح أكثر من مدخل لشكوى المريض بحيث يعرف الطبيب النفساني من أسرار المريض وحياته الخاصة ... ميوله ... ومزاجه ... وقلقه ... ومسراته ... أكثر من أطراف علاقاته العائلية ... وبالضرورة الوحيد بين الأدباء والكتاب يرصد ويسجل ويحلل نفسية المجتمع الذي يحمل همومه بحكم مهنته ... فالظاهرة العارضة في نظره مؤشرات دقيقة لأبعاد عميقة في بناء المجتمع وتركيب الأسرة... وبالفعل والممارسة الوحيد بين الشعراء الذي ينبغي أن يعي ... ماذا يكتب ؟ لمن سيكتب ؟ وماذا ينبغي ان يقول ؟ وعليه في البدء تحديد متى يستعمل الرمز ؟ ومتى يلجأ الى المخاطبة المباشرة ؟ أي القطاعات أكثر قدرة على فهم وهضم ما يريد أن يقول ؟ أليس رسالة الأديب كل هذه الأشياء مجتمعة ؟ بينما يخاطب الشاعر الآخر مهما كانت اصالته وقدرته قطاعاً يفترض فيه قدراً من الوعي ودرجة من الذكاء ورهافة الحس الفني تجعله قادراً على

استيعاب مدلول الرمز في الميثولوجيا الإغريقية ... سيزيف وبروميثوس الخ ... ليصعد القارىء الى منزلة الشاعر لا أن ينزل الشاعر الى مكانة القارىء خشية مرض الضحالة والاسفاف .

وإذا جاز هذا التعميم في مجتمعات أخرى وصلت درجة من الوعي اصبحت مؤلفات جوركي ... هيجو وديستوفسكي... وشكسبير ... وسارتر ... وأغاثا كريستي جزءاً صغيراً من مكتبة الأسرة ... فاننا واهمون اذا كتبنا بنفس الأسلوب لأفراد كثيراً ما يجهلون أشهر الأدباء السودانيين ... ويعجزون عن إدراك الفرق بين القصة والمسرحية الخ ...

إن الطب النفسي قيثارة جديدة تعزف أنغاماً متجددة ... مشحونة بعناصر المأساة ! أزمة اليوم ... كآبة الغد ... الأرق ... الشعور بالخوف ... الرغبة في الانتحار ... فقدان الذاكرة والخوف من مرض الأعصاب ... تراجيديا محبوسة في صدر الطبيب النفساني تملأ رئتيه وتشغل قلبه وتمزق وجدانه... وبذلك يتحقق له إمكانية نقل الحياة الى الناس في أصدق

صورها ... وأدق ملامحها ... في الداخل،والصور تتداعى في مخيلته بشكل عفوي يصبح في النهاية لوحة ... كقوس قزح تنضح بالألوان ... ألوان التعاسة التي ذاق طعمها بكل الانفعال التلقائي والانسجام الحقيقي فيصبح للظاهرة مدلول نفسي اكبر من التفاصيل الجزئية فالكل ليس مجموع الأجزاء في نظر الطبيب النفساني،هذه مصيدة الشاعر الذي لم يجد نفسه بعد ... فيلجأ الى اصطياد الغريب والغامض فينفذ الى قلب القارىء من جهة العين العمياء والجانب المشلول بفعل تركيبة العقار السحري الذي يحدثه مزج الرموز في العمل الشعري،ان على الطبيب النفسي الذي يكتب الشعر أن يبتر القلق والتوتر الذي هو سبب نكسة الفرد وتحوله الى العزلة ومرض الأعصاب ... ويزيد من مرارة هذه النكسة انغماس الفرد في كافة ملذاته الحسية ... المخدرات ... الملاهي الشذوذ ... الجنسي ... الـــخ ... والطبيب النفساني عليه عبء النفاذ إلى أوهام النتـــاس أولاً ... ثم عملية تبديدهـــا ثانياً بالإدراك المتكامـل لنوعيتها وظروفها وملابساتها .

إن عليه خلق يوتوبيا جديدة أو مدينة فاضلة في عقل كل فرد ... وحس كل – جماعة ... لا مدينة خرافية في أنقاض وهم عالق كخيط العنكبوت في جدران المعابد القديمة التي شوهت وجه الحياة وجمدت حركتها أن يفلت من قبضة الكتاب إلى رحابة الممارسة للعلاج ... بالكلمة بالإيحاء ... بالاسترخاء ... بالموسيقى ... بالشعر .

# الشعر

انني اكتب الشعر لكي اضع بصماتي على لوحة فنية ... تظل عالقة على جدار العالم ... الذي صعد الى أعلى قمم المتعة ثم انحدر الى اسفل بؤرة الضياع، انا اجاهد لكي تظل لوحتي مسمرة في مكانها ... سامقة تستمد بقاءها من التصاقها بقلب الجماهير المتعطشة الى المعرفة ... لا تلهث وراء السراب بل أنزل بها اليها ... اذا شاءت ... طرحة بيضاء في نهار شمس استوائية حرقت القامات الابنوسية التي كثيراً ما وجدت مشقة في التعبير عن حاجتها في القول والفعل. والشاعر المتسامي بالرمز ... المتعالي بالسفسطة ... المنكفىء على الميثولوجيا الاغريقية في أسطورة سيزيف ... بروميثوس الخ. يزيد شعورها بالضياع والعقد النفسية فكأنه يغني للصم ... فيحدث الانشطار فليس كل مجنون محبوساً خلف جدران المستشفيات العقلية وليس كل اللصوص داخل أسوار السجون، ان الذين بالداخل هم الرمز لكثرة بالخارج حيث – ينتحر المئات لفرط ما امتلأ القلب بالأوجاع والأسى ويتضاعف عدد المرضى بعقولهم بصورة تفوق

(٢)

عدد المرضى بكافة الأمراض الأخرى – وهذه أكبر آفات العصر الحديث .

الشعر قلق مسجون ... والشعر اسمى مراحل التعبير عن القلق الفردي والضياع الجماعي ... ولا يأتي الاحساس بالأول ولا الوعي بالثاني الا بمعايشة مشاكل الناس في قلقهم المتستر . والسأم المتجدد كل يوم ... والجيل الذي نعيش فيه يعيش قلق وجود لا يحس ولا يشعر به الا من عاصر نوعية الناس ولمس بأصابعه العشرة موضع الألم في أجسادهم المنهوكة في رحلة الحياة.

ان الشعر يجب أن يكون شعراً في المكان الأول ... قبل أن يكون فلسفة تخضع للرفض والقبول وإلا كان بطاقة دعوة لمناظرة فجة او لحظة استماع لقطعة موسيقية فاترة ... قبل البحث عن أي مضمون يجب أن يكون الشعر شعراً ... ثم تأتي مرحلة التشريح للمضمون ... ووضوح الرؤيا ... وشفافية التعبير ... وعقلانية الرمز ... وسلامة اللغة ... الخ ...

الشعر قد يكون محاولة شكلية بلا قيمة اخلاقية تخضع لايدلوجية معينة وقد يكون مغامرة رمزية تحتاج الى كشف

الرموز وتفقد حساسية – الالتصاق بقلب القارىء ... وقد تكون فكرة عقلانية لأنها تعالج قضايا فكرية معقدة ... فلا تعني بالإيقاع ... والنغم والصور الشعرية ... ولكنه ينبغي أن يكون شعراً في كل حالاته .

والشعر تعبير عن الباطن ... والخاص في نفسية الشاعر ومحاولة اكتشاف خصوصية الذات يبعد عن الشكل الخارجي المضيء الى دهاليز الداخل المعتم الذي يتجاوز السطح والقشور فيعطي هزة – نفسية عابرة تزول وتترك فراغاً شعورياً ممضاً وعلى الشاعر أن يختار بين السقوط في عمق الرمز والعزلة او الطفو على سطح البساط والتجرد وكل شعر مهما غاص في الداخل أو طفح في الخارج له دلالة نفسية ... اختيار الموضوع ، طريقة التعبير ... أدوات البناء كلها تفرضها الحالة النفسية التي يعيشها الشاعر. الغموض قد يعبر عن موقف رفض او حالة عجز ... والوضوح قد يكون صرخة استغاثة في أذن صماء أو حالة كآبة طارئة لا تحتمل الكتمان والا فاضت في نمط سلوكي مدمر . وعصبي .

ولادة القصيدة قد تكون نهاية الألم ... وقد تكون بداية

المخاض وعلى القارىء ان يعطي التجربة العمق الجديد الذي تحرك بين ضلوعه عندما طالع النص وطابق الرؤية بالانفعال .

إن الرمز في الشعر أصبح احـــد امراض الفكر المعاصر مقصود لذاته ومطلوب بمواصفاته ... مأخوذ من بطون الكتب بدقة ... ومرصود من قلب المعاجم بحصافة – صنعه قد لا تتوفر إلا لقلة ابتدعت هذا النمط في الشعر ...

ولذلك تخرج القصيدة تحمل تجربة ذاتية للشاعر ... تحمل بصماته وتوقيعه على ذيل الصفحة ولا أكثر من ذلك بعيدة عـن متناول القارىء الذي طوى الصحيفة ونسي محتواها .

لقد اجتاحت الشعر موجة من الغموض ... الغموض من أجل الغموض . حتى أصاب اليأس قلوب القراء رغم محاولاتهم الجادة للبحث والاستقراء ... أصبحت القصيدة تطرح للقارىء ألف مغزى ... في كل شطرة هـزة نفسية تستمر ثواني هي الوقت الذي يتابع بعيونه سطور القصيدة فيموت فيه الطموح لمحاولة ما هو أصعب ويتساءل متى افهم ؟ متى افهم ؟ ويبرر الشعراء ان هذه ممارسة مرحلية ضرورية فرضتها ظروف التعقيد

التي طرأت على الحياة وعلى نفسية الشاعر وأدوات التعبير ... أليس مهمة الشاعر استيعاب ثم تذليل هـــذه الصعاب أم انه افتقار للوعي بنفسية المجتمع في الأساس ؟

لقد اتخذ الشعر في الآونة الأخيرة شكلاً صور الواقع بلون ضبابي قاتم وان كان الواقع كذلك ... فليس ذلك نتيجة وعي لممارسة ذلك الواقع وإنما محاولة استيراد مواد خام نصنع منها مادة الشعر حتى أصبح لنا رصيد هائل من هذه القوالب الجاهزة يمكن أن تسمى بتيار الشعر الغامض أو الغموض الشعري .

لم يكن هذا إلا مظهراً خارجياً لسطحية فهمنا للحضارة الأوروبية التي أعطتنا القشور بكل مباهجها ولم تعطنا الفرصة لمعايشة التجربة ومعاناة الممارسة فوصلتنا عبر كل المحيطات شتى ألوان المخطوطات في شتى مجالاة الحياة ... الشعر ... الغناء ... الملابس ... المأكولات ... تصفيف الشعر ... وفوجئنا بأخلاق جديدة اكتسبت أوربا منهـا اختبار التجربة بصدق المعايشة ولذة التوتر وقدرة الاختبار ووصلتنا نحن النتائج ... ولم نعش تجربة التحول ... فبدأنا من حيث انتهت أوربا والآن نواجه

أزمة ... بكل الصدق والأصالة التي تفرضها أمانة البحث في جذور الأزمة فعلينا أن نختار ... بين الانسياق الجبري وراء التيار أو العزلة المدركة لخطورة التيار ولكن لا خيار لمن لا يختار ... فقد اختار جيلنا الانسياق الجبري وراء التيار وكثر عـــدد الضحايا وليس في وسع مجتمعنا المتخلف النامي تقديم تضحيات أخرى فالأفضل أن نختار العزلة الواعية ... لا خوفاً من الجديد ولا محاربة للتطور فالتطور كالظل لا تشعر بـه إلا وأنت تقف عليه فلا يمكن أن تحاربه وأنت واقف في مكانك ولا يمكن أن ترجع الى الخلف فيطوقك ولا يمكن أن تجري إلى الأمام فسيلاحقك ولكن يمكن من موقفك أن تفتح فقط الكوى المضيئة التي تحمل الشموس المشرقة من حضارات أوربا وتقفل الأبواب المتآكلة التي تدخل منها رياح التغيير المدمر ... علينا أن ندرك ان مجتمعنا المتخلف ... الغافل في جهله ... اللاهث خلف سراب الدجل والخرافة يجب أن يتخطى مراحل التطور خطوة أثر خطوة فالقفزة مخاطرة لا يحتملها مجتمع يعيش بعض أبنائه في أرقى بـــلاد أوربا ويعيش آباؤهم في أقصى مجاهل افريقيا ... لنقرب الشقة في داخل المجتمع بين الفتاة العاملة في

المدينة التي ترتدي الشارلستون وأمها الجاهلة في القرية التي تخاف من جهاز التلفزيون وتستعيذ بالله من الاشباح التي تتحرك بداخله .

أخيراً ... أليس الشعر تعبيراً عن كل هذه التناقضات ؟

وفي النهاية أود ان أتجاسر من هذا المنبر دفاعاً عن قضية الشعر فأقول ان ركود الحركة الأدبية وموات النهضة الشعرية الرائعة التي شهدها النصف الأول من القرن العشرين في بلادنا يرجع الى الشطط والمغالاة في نقل كل ما هو مستورد شكلاً ومضموناً في قضية الشعر الحديث .

إنني اكره أن أرى اليوم الذي تعود فيه عقارب الساعة للوراء ... ولكنني أرى بوادر التوقف عن السير في هذا الاتجاه ... فلتكن وقفة تأمل ... ولحظة مراجعة ... وإذا أريد للشعر أن يؤدي رسالته ويلتصق بوجدان الذين نكتب لهم فمزيداً من الوضوح دون الاسفاف وقليلاً من الرموز الى حد الاجحاف ولنشجب الغموض في الشعر ...

المؤلف

## « خواطر غريب في لندن »

ودّع همومك إذ تودّع لندنا
وارحل الى السودان قلباً آمناً
واترك على أرض المطار بطاقة
اكتب عليها بئس ذكرانا هنا
ان تذكرونا اذكروا أحزاننا
ستظل أبد الدهر جرحاً كامناً
كم مرّة راودت نفسي قائلاً :
العود أحمد .. فليكن مستحسنا
ويعود يثنيني الرفاق فأنثني
يا ليتني فارقتها .. متيقنا

وقصدت دار الأهل حيث أحبتي
اخوان صدق بالقناعة والغنا
فليعلم الجيل الجديد كفاحنا
ولينثني ان كان يقصد لندنا
ويبارك السودان في ساحاته
بلداً كريماً آمناً .. ومطمئناً
ان لم تحس الفقد في جدرانه
فالفقد أعظم حين تسكن لندنا
وتعيش أيام الشتاء عصيبة
وترى جهادك في جليده أرعنا
في شقة مجهولة .. مهجورة
لا يدخل الحجرات ضوء أو سنا
قد كنت بالسودان عطراً فائحاً
ملأ الوجود نضارة لن تفتنى
أهفو الى دفء الحياة يضمني
ويعيدني وجهاً صغيراً فاتناً
هتك الوشاح فصفقت وترنحت

أجواؤه عقباً فطار ودندنا
واليوم ضاعت في الزحام بطاقتي
وبقيت أسأل من أكون ؟ ومن أنا ؟
أكل الضياع نضارتي وبشاشتي
وبقيت في الطرقات كهلاً ظاعنا
أستقبل الساعات نصف مخدر
لا راحلاً عنهم ولا مستوطناً
أنفقت أجمل ذكرياتي شاكياً
وقضيت أحلى أمسياتي لاعناً
وفقدت نفسي بين قوم همهم
قوت الحياة فما أذل واذعنا
يتسابقون اليوم منذ شروقه
حتى غروب الشمس حرباً طاحنا
سحقت مشاعرهم ضروب حضارة
صارت جنوناً مزمناً متمكناً
وتحولوا تمثال صخر صامت
هيهات ينطق أو يحرك ساكناً

أنفقت أيامي هنا متنقلاً
أشكو ضياع النازحين المحزنا
أشكو سواد اللون بعض جريمتي
أشكو جفاف الشعر أجعد داكنا
يكفيك بؤساً أن تكون مهاجراً
يكفيك سخطاً أن تكون ملوناً
أم الكبائر ان تقول لصاحب الـ ..
بيت المؤجر « إن أطفالي هنا »
ستظل أبداً ضائعاً ومشرداً
وتضيع قطعاً لن تلاقي مسكناً
فالقط أجدر بالرعاية والرضا
والكلب أولى بالأمومة والهنا
والطفل أكبر سبة وجريمة
ان كان .. حياً في حماك وكائناً
فاحذر عيون الساكنين ولذ به
ان كان اخفاء الجريمة ممكناً
إني لأعجب من حضارة أمة

لم تبن من أجل الطفولة مسكنا
كلا ولم ترع الجوار لطاعن
في السن هداه الزمان فانحنى
لا .. لن أحط هنا رحال مسافر
حتى أبارح ذات يوم لندنا
لله درك يا بلادي فاسلمي
ما أجمل « الخرطوم » عند المنحنى
أتأمل النيل العظيم قصيدة
تنساب في ضوء النجوم ملا حنا
لن أرهب الليل الطويل لينجلي
أو أرقب الصبح الجديد مؤذناً
تمشي الحياة بنا كان خطوطها
مقروءة في الكف، رزقاً آمناً
والناس في عيش الكفاف تخالهم
في نزعة الصوفيّ قلباً آمناً
يستقبلون الضيف في خلواتهم
ويقدّمون المستحيل الممكنا

ما أروع السودان دار أحبتي
فمتى أعود إلى الديار مواطنا
عشق التراب فشال من ذراته
فرحاً بها .. متهللاً .. متيمناً
ما بارح السودان عين خياله
مذ بارح السودان يوماً محزناً
ونزيفنا ما كف عن جريانه
وضياعنا تزداد حدته ضنى
قد جئت كالطفل الصغير وداعة
وأعود كالشبح الهزيل محصناً
كالفارس المكسور سيفه عائداً
مستوثقاً من نصره ومراهناً
سأظل أبكي غربتي وكآبتي
أبداً وألعن كل يوم لندنا

سبتمبر ٧٠

# « جمال عبد الناصر »

يا ليتني حضرت نعشه بالقاهرة
مشيت في جنازة الشهيد
ضحيـة المؤامرة
في محنة قد جمعت أطرافنـا المتنافرة
لكنها قد أصبحت مأساتنا المعاصرة
لو انني خرجت في مظاهرة
سقطت وسط موكب الوداع دمعة مهاجرة
للراحل العزيز.. للأب الكبير
رب، أسرة القتيل والأسير
في لحظة حزينة وعابرة

قد أصبحت لاجئة .. وقاصرة
يا ليتني هناك جاءني النباء
في لحظة الصراخ حين الشارع امتلأ
في لحظة الضياع حين « البرج بالجزيرة » انكفأ
والضوء في العيون انطفأ
اهلت فوق هامتي التراب
مزقت ياقة القميص في مرارة الأسى
استطلع (التلفاز) في الصباح والمساء.
غرقت في دوامة الضياع والعدم . .
تغوص تحت أضلعي سكينة الألم
في وحدتي تخنقني أظافر الندم
في غربتي في ( لندن ) المغامرة
فقدت روعة الشعور بالمشاطرة
ابتلعت في جوفها صرخاتي المكررة
بللت بالدموع نضرة التراب .. غمة مسافرة
في سوريا ـ في القدس .. في السودان .. أو القاهرة
في ليلة شتوية وباردة

أتابع الأخبار عن حقيقة المؤامرة
وحدّة القتال في ( عمّان ) والمواقع المجاورة
في ( الأردن ) المدينة الخصيبة
قد لطخت شاراتنا الحبيبة
وذبحت أطفالنا الصغار
وقتلت جنودنا الكبار
من قبل أن يحرروا شبرين فوق أرضنا السليبة
استشهدوا في ساحة العروبة
يا عارنا الجديد .. والمصيبة
وتوجت قتالها الشرير للرجال
بأعظم الشهداء والأبطال
في القدس .. في سيناء والقنال
وعندما تجدد القتال
في غير موقع القتال والنضال
فارقنا ( جمال )
ودعنا في ساعة السلام
نعيش في الحداد ألف عام

(٣)

ويسقط المناضل الوحيد
وتفلت الحروف من يدي ويهرب القصيد
في طلقة طائشة وغادرة
انطلقت من موقع المؤامرة
ما أقصر الحديث .. كلمتان
( جمال مات ) ؟؟؟
انزلقت كالنار في اللسان
وطفرت في الخد دمعتان
ولم أعد أرى في الغيم والدخان
أصابني الدوار والغثيان
وعندما أفقت من غيبوبة الأحزان
تغيرت معالم الأشياء والمكان
ولم أصدق النبأ
( جمال ) لن يموت
في لحظة الأحزان والسكوت
في ( لندن ) المخبوءة الأسوار والبيوت
في ( لندن ) المأهولة الأحياء بالسكان

تعيش بدء الكون والزمان
تحس عبء الفقد للإنسان
يا ليتني حضرت دفء لحظة الوداع
مواكب البسطاء والضعفاء والجياع
يسافرون رحلة الظلام في شراع
يصارعون حدة الشعور بالضياع
(جمال) يا أسطورة في الشرق يا جمال
يا قصة البطولة الطويلة النضال
« السد » في أسوان والصمود في القنال
كتبت آخر الحروف في سطورها الطوال
أسطورة في الشرق للأجيال
وبعد .. لن تموت يا جمال
تعود بعد كل صرخة حزينة .. ( تعال ؟؟ )
تطوف فوق كل خيمة تقول يا ( جمال )
وأروع الكلام في الحديث كلمة ..
محبوسة في الصدر لن تقال
يا حبنا النبيل

وكنت قد عاهدتنا
وكنت قد وعدتنا
وبعد أن وجدتنا .. في التيه لا نرى سبيل
وعدتنا البقاء في ديارنا طويل
منارة جميلة في شرقنا الجميل
والآن قد تركتنا .. أحزاناً تجددت .. وزدتنا قتيل
ودعتنا في الفجر قبل موعد الرحيل
يا ضوءنا في الليل .. في ظلامنا الطويل
تركتنا في الليل أشقياء
أيتام في الخيام والعراء
نموت بالنواح والبكاء
وعندما يقتلنا النواح
وعندما تجف في حلوقنا حناجر الصياح
ننكفيء في الطريق حتى يصبح الصباح
فينكأ الآلام والجراح
نحوم حول ( قصر القبة ) الخضراء
نستقبل النهار بالدموع والبكاء
فلم يعد للشرق غير الحزن والبكاء

الحزن للصغار . للأطفال للنساء
والخوف للأيتام في الخيام والعراء
يا قبلة الشعوب يا مدينة الرجاء
يا آخر الحصاد في سنيننا العجفاء
تحطمت صوامع العطاء
جراحنا تجددت وزدتنا جريح
وكنت في تاريخنا الإنجيل والمسيح
أصبحت في حياتنا القربان والذبيح
أصبحت يا جمال — في بلادنا ضريح

لندن — أكتوبر ٧٠

# ( رسالة تحت مظلة الجليد )

## في مطار لندن

في لحظة تداعى حر ...

انسابت عفو الخاطر . . في ليلة

عيد ميلاد المسيح

( بطاقة معايدة )

سنة مضت

وهناك أخرى قبلها مرّت

وأخرى في الطريق
الليل طال
ولم أزل سهران أستجلي
الشروق
أتذكر الوجه الذي قد كان
يومض بالبريق
في هالة الضوء المثير ودفقة
العطر الهريق
شابت على أكتافه الأيام من
هول الحريق
وطني .. صدى وترى ..
وقيثاري الرقيق
لا أهل .. لا جيران .. حولي
لا صديق
إلا رسائلكم .. إليّ .. بطاقة
الشعر الرقيق ...

أتكىء فوق حروفها
وأضمها نحوي فتهدأ أنة
الجرح العميق
وتضمني طفلاً .. وحيداً ..
ضاع في وادٍ سحيق

# ( تذكار )

قد كنت أحسب أن بالنسيان
نجتاز المحن
فوجدت أصدق ما يشد المرء
حبه للوطن
قد لفه وهج الحنين وتاه في
دنيا الشجن
جنحت به صور الخيال فقال
شعراً في دمن
وازداد في ترحاله شوقاً
ومـا عشق السكن

يطوي صحاري شوقه الباكي
الى أرض الوطن
ونظل في صمت هنا .. وتدور
عجلات الزمن

# ( ليلة عيد الميلاد )

أتذكر الوطن البعيد
وأنا أشد ركائبي .. وأردد
النغم الوحيد
يممت وجهي شطره في ليلة
العيد السعيد
لهفي اليه معلقاً .. نجماً ..
شمالياً .. بعيد
كحروف أغنية مجنحة
وبيت من قصيد.
كقطوف دالية مرنحة .. على
ريح الصعيد

يا دفء شوقي عندما نستقبل
العام الجديد
وأطل من شرفاته .. وجهاً
طفولياً وليد
وتظل خطواتي هنا .. أثراً
على سطح الجليد .

# ( أحزان المنفى )

حزني كحزن الملك المنفي في
بلد صديق
يلهو بكل متاعه .. وروائع
القصر الأنيق
ويموج في أرجائه القا ..
ربيعياً .. رشيق
لكنه في سره يهفو الى الماضي
العتيق
أنفقت أيامي هنا .. في
الصمت في بحر عميق
تتحرك الشطآن في عيني معلقة

على أفق سحيق
ما عدت أذكر كم قطعت من
المضيق الى المضيق
نصفي على سطح الماء يوآزر
النصف الغريق
في لحظة تتعانق الأيدي ..
وتطفر دمعتان
لحظاتنا عند الوداع تمر ...
لمحاً .. في ثوان ..
لم يبق إلا وعدكم .. لا خلف
فيه لا امتنان
وعد الغريب العائد الباكي
على صدر الزمان
فاحمل جراحك يا غريب النفس
وارحل في أمان
وإذا بكت دعها .. فإن الأرض
ما زالت دخان

لن يبصر الغرباء صور الدار
أو وجه المكان
يترنحون فنلتقي ونقول
قد فات الأوان
فات الأوان
للحزن طعم الملح في طرف اللسان

# ( صور القرية )

سنة مضت
وهناك أخرى قبلها مرّت
وأخرى في الطريق
وطني .. أتذكرني أنا ..
هيهات تُنفعني الذكر
أشتاق ( للحوش ) الكبير
وجلسة تحت القمر
نجتر أطراف الحديث
نعيد لحظات السمر
نحكي عن الماضي البعيد وعن
حكايات الصغر

نشتم رائحة ( الدعاش ) تقود
قطرات المطر
ونرى النجوم تغازل السحب
الكثيفة في خفر
لليل في بلدي عيون لا يؤرقها
سهر
وهنا تنام مدينتي منذ المغيب
من الضجر
خلت الشوارع والدروب وغادر
الطير الشجر
والناس تحت مواقد النيران
ميتة الفكر
قد ضقت ذرعاً بالضباب
غمامة فوق البصر
غطى المدينة حلة سوداء لم

تترك أثر
والريح تعوي والجليد قضى
على أحلى الصور
وبقيت نجماً . . ضائعاً . .
قد تاه في وقت السحر

# ( خواطر الغريب )

سنة مضت
وهناك أخرى قبلها مرّت
وأخرى في الطريق
قد جئت في يوم كوجه الطفل
في حلم مخيف
ودخلت تحت مظلة سوداء
كالظل الوريف
والمعطف المغروز في جسدي
كأحزان الضعيف
ما زلت تحت غطائه منذ جئت

في ليل عنيف
أختزن في صدري حرارة ذلك
البلد الأليف
للشمس دفء مواقد تشتعل
في وهج عنيف
حلم لأجساد هنا رقدت على
رمل المصيف
تهفو الى شمس الضحى
تعتصر ملمسها اللطيف
ما زلت تحت عباءتي وجوارب
الصوف الكثيف
ننتقل من برد الشتاء الى
أعاصير الخريف

## ( حديث المدينة )

سنة مضت
وهناك أخرى قبلها مرت
وأخرى في الطريق
قد قال لي بعض الصحاب
غداً ستنسيك السنين
وغداً ستعشق ( لندن ) الشقراء
ساحرة العيون
وتتيه في ساحات ( بيكاديللي )
وأضواء النيون
وروائع ( الطرف الأغر ) تثير

في النفس الشجون
وأقول رفقاً إخوتي لو تعلمون
قد ذقت كل حلاوة ومزجت
بالصخب السكون
وشهدت ( لندن ) في هزيع الليل
ترقص في جنون
جنية ملتهبة الشهوات تصرخ
في مجون
والناس في أحضانها
يتساقطون
يتمايلون . . ويرقصون
يستقطرون الليل في حاناتها
طرباً ولا يتوقفون
والله لم يهدأ لهيب الشوق

أو نار الحنين
في ظلمة الليل الرهيب يجيئني
نور اليقين
صوتاً ينادي : لا تخف يا أيها
القمر الحزين

# « حلم العودة »

سنة مضت
وهناك أخرى قبلها مرّت
وأخرى في الطريق
أنتظر أخبار البريد تجيء
تحمل لي خطاب
سلواى حرف وأعد يكتبه لي
أحد الصحاب
في بدء كل رسالة تنهال كلمات
العتاب..
«طال الغياب
ومتى تعود ؟

والشوق يطرق كل باب»
وكأن كل رسالة في الأصل
تذكرة الأياب
ما غيّرتني نعمة المولى ولا سعة
الرحاب
إذ بدلت قدري الذي علقت به
صور العذاب
ماذا أقول ؟
ودعت قافلة الشقاء وعشت في
ظل ظليل
وتفتح الزهر الذي قتلته رياح
الذبول
وجمعت أطرافي على دفء
المواقد كل ليل
مسترخياً ما همني . . الليل
يقصر أم يطول
لكنني رغم الذي ما فيه أحلم

بالرحيل
لم يقطع العيش المنعم زاد
مشواري الطويل
ما زلت رغم بشاشة الأطفال
أزهار الحقول
كفى على قلبي وميعاد الوصول
ميعادنا في الصيف حين
الشمس ترحل في أفول
تتواعد الغيمات باكية وتمتزج
الفصول
فلننتظر . . عيناى مصباحان
في الليل الطويل
ولننتظر ولنحترق في ذات
نار الانتظار
ما أصدق الوعد الذي جمع
الأحبة في الديار
منديلنا أغرورقت أطرافه

دمعاً . . وطار
ورسالتي شوق الغريب تطير
تجتاز البحار
كلمات صدق عندما ولدت
تلقفها النهار
فحملتها رغم الجليد يكاد
يبتلع المطار
للاخوة المتوجهين . . العائدين
الى الديار
ما أصدق الكلمات في أرض
المطار
عفواً تجيء . . من القرار . .
الى القرار
سنة مضت
وهناك أخرى قبلها مرّت
وأخرى في انتظار

مارس ٧٢

# « رقصة جوليانا »

لا تقتربي . . لا تقتربي
يا ذات القرط المضطرب
أقراطك تعزف في أذني
موسيقى حالمة الطرب
يا ذات العينين الساحرتين
الراحلتين مع السحب
يا ذات الشفتين المورقتين
كعنقودين من العنب
يا همس الدالية السكرى

تترنح كالغصن الرطب
تتراقص . . تحضن في شوق
خصلاتك . . والشعر الذهبي
أهواك . . أحبك راقصة
كجناح فراشات زغب
فستانك هدهد أعصابي
ترتاح عليه من التعب .
والجاز الصاخب ذوّبنا
في حر طبول كاللهب
وشموع الصالة . . تتدلى
تتألق . . فينا كالشهب
ورقصنا . . طالت رقصتنا
وسقطنا من فرط الصخب
قد ضاع الليل وما زالت

موسيقى الجاز الملتهب
كالخمر تدور معتقة
في كأس الصحو المنسكب
ودّعنا عاماً . . وسقطنا
في حضن العام المرتقب
يا عام الحزن تطالعنا
لحظات فراق مكتئب
والعالم يرقص من حولي
وعروقي تنبح بالغضب
أتركنا . . دعنا . . اقتربي
يا نشوة عمري . . اقتربي
لم تبق سوى بضع ثوان
والفجر يطل . . فيا عجبي
يا قصة حب لو كتبت

امتلأت آلاف الكتب
يا أحلى وجه في عمري
لن يعلم أحد من صحبي
بحر الأشواق ومجدافي
في عمق الموج المضطرب
أهديك مقاطع أغنية
أهديك أساور من ذهب

أكتوبر ٧٢

# وقفة عند قبر أبي

كان صبحاً . . داكن السحنة . . غطاه الضباب
لم أنم في الليل . .
نبضي مثل حبات جليد . .
مثل نقر أصابع في صدر باب
كانت الساعة في الحائط . . أجراس كنائس
قرع طبل . . آتياً من قلب غاب
كان كل الليل أسئلة
تطوف بخاطري . . حيرى . . ولا تلقى جواب
لم أكن أعرف ان الحزن . .
لو ضلت خطاه الى ضحيته . . سينتظر المآب

كان شيئاً غامضاً يوحي بأن غداً
سيحمل في حناياه . . مصاب
عندما بدأت خيوط الفجر . . تتدلى
كمسبحة . . معلقة على صدر كتاب .
جاءني الخبر الذي ما كنت أرصد نجمه
المخبوء من خلف حجاب
برقية . . سادية الكلمات . . شاحبة الحروف
على الأصابع بالحساب
« أحسن الله عزاؤك . . ملت والدك . . ووريّ التراب »
وشعرت أن النبض يضعف في شرايينى .
ووجه الله غاب
ولمست أجنحتي .. لتحملني .. أطير بها الى الأرض الخراب
فسندت ظهري . . لم أصدق . .
كان حلماً . . كان رؤيا . . كان شيئاً كالضباب
كنت أقسم أن أشد على يديه مودعاً
لو آذنت شمس المغيب
وجاء أجله في الكتاب

(٥)

ما زال في ظني فراق الوالدين أشد أنواع العقاب
قد كان . . ودعني . . وأوصاني . . وأجهش . .
عندما عانقته وقت الذهاب
قد كان يهمس لي . . يذكرني يقول :
« ان الله ما شق حنكاً ضيعه »
فلتلتفت للعلم في كل الرحاب
وأحمل هموم الزوج والأطفال . . دعني هاهنا
وغداً ستلقاني — بإذن الله — موفور الشباب
مازلت أذكر رنة الكلمات . . في أذني . . لها نبض ووقع وانسياب
قد جاوز الستبعين لم يذهب الى العراف أو يفتح كتاب
ما كان يرضى أن يساق الى طبيب عندما يشكو
ويكره أن يعالج . . بالمحاية . . والحجاب
وأنا الطبيب . . خرجت من صلب الفقيد
وشاءت الأقدار تحرمني وداعه يوم غاب
وفقدت أجر علاجه
وَبقيَّ رضاؤه عني . . وعفوه لي ثواب
لكن شهر الحزن في بريطانيا

كالقرن . . لو قيست لياليه بلحظات العذاب
وفقدته . . وفقدت يوم وفاته دفء المودة والثقة
روح السمو تدور في فلك الحياة المشرقة
وفقدت في وسط الزحام . . صفاء روح صادقة
قد أوقدت كل الشموس . . ولم تعد متألقة
وورثت من أخلاقه روح المروءة . . مطلقة
سبقت بها نفسي الحزينة . . قلقة . . وممزقة
بشجاعة القلب الذي يفنى . . ليفدي منطقه
ويناطح الأقدار كي تبقى المنارة سامقة
ويغوص في عمق البحار الى شواطىء مورقة
يمشي على جمر الحقيقة في صخور محرقة
يقضي حياته في الكفاف وفي أشد الضائقة
عف اليدين فلا يمس غنائم المسترزقة
كالسيف يبقى وحده . . عن حفنة متسلقة
انموذجاً للكبرياء . . وصورة فوق الجدار معلقة
ستظل نادرة المثال . . وبالمعاني ناطقة
عيناه راصدتان خطواتي تتابع في الطريق مزالقة

كلماته كالشوك في الكف إذا امتدت لشي سارقة
وتشدني لو رغبة خففت بقلبي في لقاء معانقة
أو دندن الكأس الطروب عذوبة متدفقة
قد كان صبحاً . . داكن الغيمات عطشى . . خانقة
قد أثقلت عيني . . ولم تترك أمامي بارقة
تركت على جفني دموع الغربة . . المغرورقة
زوجي وأطفالي شتات جزيرة . . معزولة . . متفرقة
قذفت بها الأمواج بضع متاع مركبة الضياع الغارقة
فالحزن في بريطانيا . . كالسجن . . في زنزانة . . فردية ومطوقة

مارس ٧٣

## « المضيفة »

تهدهدني أناملك اللطيفة
وبسمتك المحببة الظريفة
وصوتك ناعماً ينساب دفئاً
يبدد كل أوهام مخيفة
يناديني المسافر في جواري
ويقطع حبل أفكاري العفيفة
تبسم ثم حرك حاجبيه
فلم تنطق وقد كانت كسوفة
وأعجب من تعلقه الجنوني
كقيس تاه في عشق الوصيفه
حلاوة وجهك الغض الطفولي

كغصن الكرز قد أدنى قطوفه
وتخجل حين تسألها سؤالاً
وتمسك حبكة الشال الخفيفة
وتتثنى . . وتتهادى . . وتمشي
نتابعها بأنفاس عنيفه
نعومة جسدها وتلال نهد
تنوء بحملها خصر النحيفه
وترفع حاجباً وتشد رمشا
كما تتدلل القطط الأليفه
دلالك يا معذبتي جحيم
كفى ناراً مولاتي العطوفه
وعنقك حين طالعنا . . غزال
يطاول غصن غابته الكثيفه
وعيناك التي نامت نهاراً
على أحلى وسادات القطيفة
ملاك الجو . . سيدة العذارى
ومقطع كل أغنية خفيفة

وجدتك في لسان الناس نغماً
وشعراً تنشد الدنيا حروفه
أنا الضيف الذي ألقى رحاله
وغيَّر قدره . . وأبى ظروفه
عزائي إنني ضيف عجول
يقول الشعر في أحلى مضيفه
ولولا حسنك الجبار قطعاً
لهجر الشعر واعتزل الوظيفه
نسى الدنيا وحلق في سماء
بأجنحة الملائكة الرهيفه
وتاه . . وذاب . . وجداناً وحسا
ليرصد رعشة الخصل الوريفه
عروس الطائر الميمون تيهي
وزيدي في دلالك . . يا ظريفه

يناير ٧٤

# « رسالة الى بولين في عيد الميلاد »

شكراً بولين
شكراً سيدتي الشقراء
شكراً لبطاقتك الخضراء
جاءت في ذات الميعاد
وأنا أتذكر نفس الأشياء
وأفض بطاقات الأعياد
أتذكر يوماً ذات مساء
في العام الماضي . .
يوم تلاقينا بالصدفة في غرفة « ايلين »
في حضن « التايمز » باقة ياسمين

قالت ايلين :
حسناً . . سأعرفك بصاحبتي بولين
وجلسنا رغم الإرهاق
وقضينا أجمل لحظات غمرتنا أحلى أشواق
لم نترك إلا كلمات ترقد ما بين الأوراق
تذكار زيارتنا « للتايمز » . . قد كانت أغلى ميثاق
ما زالت تهمس في أذني . . شلال الشوق الدفاق
وحكايا غرفة ايلين . . اسطورة كوخ العشاق
قد ماتت همساً وعناق
الوعد العالق في صدري . . كالنجم الضائع في الآفاق
والشوق اللاهث في شفتي تفضحه تلك الأحداق
وتفارقنا كي نتلاقى . . الصيف القادم في باريس
وتلاقينا في باريس
قد قلنا حسناً : لن نمكث أكثر من أسبوع
والرحلة طالت — في ظني — أكثر من برنامجنا المطبوع
شكراً بولين
يا أسطورة نهر « السين »

فلتنسى موعدنا في باريس
ولتحرق كل رسائلنا . . فأنا واجهت مصيري
ما كانت غير هواجسنا في ذاك الليل المخمور
أسطورة شاب مغترب في أرض الحب الأسطوري
لم تلمس قلبي وشعوري
قد تركت بعض الآثار
قد نقشت في قلبي تذكار
وبقايا شيء محترق يتدفق في دفء الأشعار
وحكاية رجل افريقي
يعشق حسناوات أوروبا
وتفور عروقي كالتنين
في شهر حزيران
في ساحة « ميدان الكونكورد »
في يوم الحادي والعشرين
لكني تجاوزت الثلاثين
ماذا يجدي عشق الذات ؟
تفصلنا تلك السنوات

جمعتنا أحلى الأوقات
في أحد دهاليز « اللوفر »
نتحدث عن أحد اللوحات
نتأمل عمق الموناليزا . . وأنامل ليوناردو
تتفجّر ألواناً زيتية
تملأ جدران الصالات
ما أجمل تلك اللحظات
فلننس الماضي — فلننس تلك السنوات
فأنا من بلد لا يغفر عشق الاثنين
لا يعرف معنى أن نعشق بعد الثلاثين
أكثر من هذا تفصلنا أم الطفلين
فلننس دعنا لا نذكر بعد الحين
يوم تلاقينا في رحلتنا عبر « السين »
لا أملك إلا أن أخلع
قبعتي منحنياً
شكراً بولين — شكراً بولين

يونيو ٧٤

# ( بطاقة ضائعة )

للحسن في عيني بريق . . لا يموت . . ولا يزول
للنغمة المعسولة الإيقاع في أذني أجراس وإيقاع طبول
للوجه . . زهرات القرنفل . . واحة الياسمين حسناء الفصول
ألق . . يرش العطر . . في « اللوتس » تتحدى الزبول
للبسمة العذراء وهج البرق ينذر بالهطول .
الغيمة الزرقاء سحت فوق غاباتي وأغرقت السهول
للكبرياء . . غريزة الطاؤوس صال وجال في عرض وطول
ضاعت بطاقتك التي حملت هويتك المثيرة للفضول
وبقي لنا عطر الأنامل . . في حروف سطرت مأساة جيل
أشتمه في السطر . . في الكفين . . في الورق السماوي الجميل

في كلمة همست بها شفة . . ولم تجد الوصول
في الأحرف التي حفرت على جدران حائطك الطويل
صوراً تطل على بحار الصحو . . في الشط الجميل
كالريح . . تسرق نشوة المخمور في ظل ظليل
وبقي لنا التذكار . . أحلى من نسيمات الأصيل
في البدء حاولت الحديث . . فأفلت الحرف الجميل
وجلست اصطاد القصيد . . ففاض نبع السلسبيل
كراستي . . ودفاتري . . والحبر من قلمي يسيل
والشعر أغمد في ضلوع الموج بجداف الرحيل
فاتت مواعيدي . . وطال الانتظار، أصابني مرض الذهول
شحبت رباباتي . . وبحت نغمة الوتر الهزيل
ما عدت أدري ما أريد . . ولست أعرف ما أقول
قد ضاع صندوق البريد . . وتاه رقمك في الدليل

يونيو ٧٤

# خمس صفحات
# من مفكرة أيلول

- ١ -

عبروا القناة على حبال الكبرياء
وتساقطوا شهباً هوت في الماء من جوف الفضاء
لم يدرك الأعداء من أين انطلقنا
كيف جئنا . .
اي درب ساقنا ذاك المساء
وتفرقوا في لحظة
وانفض سامرهم . . وانهار البناء
وتبدد الشمل القديم كأن لم يجمعهم يوماً ولاء
هجروا الخيام
"وخط بارليف" الذي صنعوه من أغلى دماء
لم يبق غير مشوهي الحرب القديمة والنساء

(٦)

ذاقوا حزيران الجديد . . وكرروا
أسطورة المتحاربين الهاربين . . بلا بنادق . . أو حذاء
عرفوا مرارة رفع أيديهم وراء رؤوسهم
ومذلة التسليم بعد الانحناء
وشراسة العربي حين تفور في شريانه
روح لأخذ الثأر . . أو سفك الدماء
من كان يحلم أن يرش مواقع الثوار نور أو ضياء
من كان يحلم أن تعانق هضبة الجولان . . شرفات السماء
من كان يحلم ان يسوق الفجر للصحراء حزمة انبياء
يترقبون الليل تحت خيامهم . .
وعلى الزناد . . أصابع تصطك من برد الشتاء
من كان يحلم أن يعود الميّتون الى الحياة . . من الفناء
جيلاً فدائياً . . وباقة أولياء
يبنون من حجر المقابر قبة
ومدينة كبرى تبشر باللقاء
كل الخطوط تفجرت لهباً . . تصاعد في الحدود . . بلا انتهاء
كل المدائن تشتهي التسليم للثوار . . شرف الانتماء

كل المعارك بضع ضوء شرارة ولدت . . ونقطة ابتداء
يهتز تحت القصف خط بارليف
صك الذل في صدر الاماء
بارليف . . يا وهماً سيبقى عالقاً في قلب سيناء القديمة مومياء
لم تبق غير القدس . . تنظر لهفة للعائدين لها . . وتجزل في العطاء
كتبوا بطاقاتهم ورقم كتيبة . . رفعت على الوديان ألوية الفداء
تركوا هنا بصماتهم مكتوبة . . فوق الجدار
الى اللقاء . . الى اللقاء

- ٢ -

آه .. لو عندي مصباح علاء الدين

لنحت لكم أنموذج طين

غيّرت خطوط الهدنة في غمضة عين

ورسمت حدود فلسطين

وجعلت مقر الأمم المتحدة .. « دير ياسين »

وكتبت على واجهة الأنموذج :

« أيلول بلا ألوان »

من يفلت من قبضة أيلول .. سيلحقه لعنة رمضان

وخلعت قناعي الأسود .. بضع ثوان

ليصير العالم في نظري .. لونين
أبيض ... أحمر
الأبيض شارة سلم دامية الطرفين
كاذبة تتلوى مثل عصاة الدجالين
والأحمر قطرة دم سالت بين الفخذين
من جرح البكر المطعونة بين النهدين
اغتصبوها تحت الليل .. ولم تعرف وجه الشبحين
أستار الظلمة قد غطّت وجه الأبوين
والدها يبرم شاربه المفتول كأعشاب الحنطة
يتجول في الأمم المتحدة تحرسه عشرات الشرطة
يستجدي أصوات بلاد .. لا يعرف موقعها في الخرطة
يترنح طرباً فالبترول يرجّح ميزان السلطة
ويحيل الفيل الى قطةٍ

## - ٣ -

آه .. لو عندي مصباح علاء الدين
أو عندي بضع ملايين
لذهبت مع وفد المؤتمرين
في قلب جنيف
وحضرت هنالك أولى الجلسات
لأبدل كل الكلمات
وأصوغ الألفاظ المعسولة طلقات
تنطلق قذائف .. قاتلة .. محرقة .. من كل الجبهات
في الجولان .. وفي سيناء .. الجرح الدامي .. في ايلات
ماذا يعني خط الهدنة في واجهة الدبابات
ما معنى حرب الكلمات

« ناصر مات »
قتلوه غدراً بالكلمات
ما أسرع ما تتكاثف سحب الشبهات
وانفتح الباب أمام جنيف حيث تقام المؤتمرات
حيث تحل قضايا الشارع .. فالأزواج مع الزوجات
مذ عرف العالم كيف يحيل نضال الشعب الى كلمات
في مأدبة .. بين السادة والسادات
في السيرك الضاحك
اسرائيل تجيد فنون الاكروبات

— ٤ —

يارب ضربنا وتد الخيمة في سيناء
وكتبنا اسم فلسطين خطوطاً في عرض الصحراء
خط كيسنجر
خط بارليف
وخطوطاً أخرى تنتظر بقايا الأسماء
من أرشيف البيت الأبيض
من حجرات الـ « اف .. بي .. آي »
حيث تعاد صياغة كل خطوط العالم
كل صباح .. كل مساء

- ٥ -

لا تطمسوا معالم المؤامرة
لا تكتموا صيحاتنا المكررة
لا تدفنوا خيامنا المبعثرة
رجالنا يستشهدون داخل المستعمرة ٠
ويرسمون في جدرانها القديمة المشاهد المعبرة
يستعرضون العالم القديم .. يلعنون روحه المستهترة
في هجمة جريئة على القرى
أو اختطاف طائرة
أو طلقة تثير الرعب في العواصم المغامرة
ما أرخص الحياة حين لا تحرك الإنسان غير مجزرة
بوركت يا أيلول .. يا مفجر الحريق في القنيطرة

أطفالك الصغار ودعوا لم يتركوا مذكرة
قد سجلوا بطولة مؤثرة
تعيش كالصنوبر القديم .. نفحة معطرة
ترشى بالعبير كل مقبرة
من سار في طليعة الصفوف لن يموت في المؤخرة
لا تحزنوا .. يا ساكني الخيام
يا بقية المدينة المهاجرة
لا تطلبوا من الإله مغفرة
جريمة المشردين في الخيام سبة
تلوب في جباهنا المعفّرة

# « اسمها آن »

إلى طفلتي آن .. أهدي ذلـــك الديوان .. « قصائد من بريطانيا » :

اسمها آن
ولدت في ضاحية في « لنكشير »
في الريف الهادي .. في جو حلو ومثير
في صبح شاتٍ ومطير
لا تسمع غير أغاريد الأطيار
تتراقص في قمم الأشجار
تنتظر قدوم الأخبار
في غربتنا .. لا نعرف غير الاشعار
نشتم رياح التغيير

في الريف .. الاخضر في لنكشير
قد ولدت آن
خرجت كالشمس القزحية
نبتت من جوف الارض كحفنة قمح شتوية
كخيوط الضوء تدلت من قسمات وجوه شمعية
جاءتنا في طرحة عرس .
كبطاقة شعر قد كانت في جيب الشاعر منسية
جاءت والارض مغطاة ببقايا قطع ثلجية
في نصف الليل ....
دقت أجراس كنائسنا
قرعت أبواب مساكننا الاثرية
عادت آن
كالوجه الغائب منذ زمان
كالحلم الضائع بين سحابات النسيان
صوتاً في الغربة يحكي قصة إنسان
قالت في صوت لا يعرف معنى الاحزان
أمسك – أبتي – كفيّا

هات القبلة – احضني .. عطشى فلتحرق شفتيا
قد كنت زماناً أنتظر قدوم الريح الغربية
تحملني ليلاً .. تذروني كرمال الشط الذهبية
فاحملني خذني قروية
في قلبي طهر القرويات
أوقدنا كل الشمعات
بسنين الغربة .. بالعشرات
أشعلنا النور يضيء توابيت الظلمات
يا سجنَ الغربة .. لا تفتح .. دعنا نستمتع باللحظات
قد عادت آن
حسناء القرية تتبختر
شربت من خضرة ذاك السهل الاخضر
نقشت أحرفها فوق الرمل .. كأصداف البحر الاحمر
حفرت تاريخ العودة في حجر المرمر
لن أنسى .. قطعاً لن أنسى

سأظل كثيراً أتذكر
رؤيا .. كالحلم الاسطوري
بل أكبر من أن نتصور
قد خرجت نبضاً من قلبي
يتحرك في جنبي الايسر

## « حاشية »

ألا ما أروع التحفة
وقفنا بضع سنوات وقد طالت بنا الوقفة
وبعد الشوق واللهفة
أطلت حلوة الشرفة
فراشات خريفية
تحلق في مزارعنا .. بأجنحة ربيعية
كأغنية غرامية
وقد خرجت عروس البحر .. حورية
بلون عيونها السوداء « زرقاء يمامية »

وزرقة شعرها المجدول في خصل حريرية
تغطي الوجه .. قرص القمر المخبوء في سحب رمادية
وآخر قادم في البيت .. في ثقة وحرية
فتاة تعقب الولدين .. تبني خير ذرية
حلاوة آخر العنقود .. في الشفتين ... أزلية

مارس ٧٤

# كلمات ملتهبة
# في وداع صديقتي بريطانيا

" اعذريني صديقتي إذا افترقنا في اوج
مجدنا .. وعفواً إذا اختلفنا لحظة الرحيل فأنا مسافر
إلى حبيبتي .. هناك تنتظرني .."

آه يا بريطانيا
ذات الفصول الاربعة
الشمس .. والامطار تهمى ..
والجليد يفض من وجه السحاب الاقنعة
في كل يوم تلتقي الاضداد

(٧)

تجتمع النقائض في رباك مروعة
في لحظة تنتقل من همس الربيع
إلى هدير الزوبعة
والجو كاللغز المثير نبوءة
في قلب ملكوت السماء السابعة
بريطانيا .. ذات الفصول الاربعة
ما أجمل الصيف النضير على التلال الممرعة
وسهولك الخضراء .. لوحات منمقة .. وصور رائعة
طوق البنفسج ... حول عنق التل ..
حاكته أنامل مبدعة
وتفتحت أزهار نيسان ..
المحيطة بالحقول الشاسعة
لكنه كالحلم .. لا يبقى طويلاً في خطاه المسرعة
كالظل .. لا تشعر به إلا وفارق موقعه

وتعود تحملنا الرياح إلى الفصول الاربعة
عفواً ،، إذا فارقت أرضك ذاكراً
حسن الجميل .. وذكريات ممتعة
شكراً فقد ذقت النعيم بذاته
وشربت من بحر الملذة والدعة
وعرفت رغد العيش فيك .. وطاب لي ..
حلو المقام .. مع الرحابة والسعة
لكن شيئاً في ضميري .. خافقاً
متوثباً .. ما عدت أدري منبعه
قد سدّ لي كل الدروب .. أشار لي أن أتبعه
فوجدت أصل الكنز في بلدي
وقد سرقوه في الماضي وغيّروا موضعه
من حسرة المحروم يمشي في ثياب رثة ومرقعة

من لهفة العطشان يحرث في الظهيرة مزرعة

من لوعة المختبيء في الغابات في سود الليالي المفزعة

من وحشة المغمور .. في تلك البقاع الضائعة

كل المقابر في بلاد المعوزين تحوّلت كنزاً لديك وصوّمعة

ما أبحرت سفن لأيّ جزيرة

إلا وقد هبّت رياح المنفعة

جاء القصاص مؤخراً ..

لكن سيلقى كل جانٍ مصرعه ..

وأرى مغيب الشمس عن عرش الجلالة فاجعة

يترنح التاريخ كالمذهول في جدرانك المتصدعة

كالثور انهالت عليه رماح صيد مشرعة

من كل بلد كان يرزح تحت نيرك موجعة

قد اشعل النيران

فاندلعت حريقاً شبّ في كل السهول الواسعة

لكنه التاريخ .. قد نفض العباءات القديمة خرقة ومبرقعه

مغموسة في طينة الغفران

في زيف الطقوس الشائعة

وأراد يكتب في صحائفه سطوراً ناصعة

تتحولين إلى متاحف للحروب المفجعة

وستنزفين دم الملايين التي سالت كؤوساً مترعة

ما كان من خلقي .. ولست طبيعتي

ذم الصديق .. ولا ثناء الإمّعة

من يندب الحظ البريء .. ويتبرى ..

في خيبة المظلوم .. يذرف أدمعة

فارقت جنات النعيم مرحبا

بالنار في وطني .. ونفسي قانعة

عيش الجحيم هناك بين عشيرتي
السعد في جناتك المتنوعة
فلنعترف .. لم تنسجم خطواتنا
في البدء .. تفصلنا صحارى شاسعة
أشتاق يهزمني حنين جارف
للقرية .. الصوفية .. المتواضعة
لغة الكلام تدير رأسي كلما ..
حاولت فك رموزها المتقوقعة
وهجرت لغة الضاد صرت كأعجم
تصغى اليه .. وتستحي أن تسمعه
تتكسر الكلمات .. تلوي عنقها
تذري ضرام دلالها متمنعة
يتعثر التعبير .. تفلت كلمة

وتجيء أخرى لم تكن متوقعة
وتضيع أفكاري .. كحزمة أنجم
عبثاً أحاول رصدها متجمعة
وتركت نظم الشعر .. روح مواهبي
قد كان في كفي أداة طيّعة
جفّت روافد نبعه وبجوره
وتجمّدت أمواجه المتدافعة
وأغازل اللغتين مثل موزع الاشواق
بين حبيبتين .. هنا معه
فمتى أعود إلى البلاد مع التي
ملكت شغاف القلب كي أسترجعه
غداً الرحيل .. صديقتي .. فإلى اللقاء ..
وقد نشرت الاشرعة

وعبرت في بحر الشمال .. تسوقني
ريح الحنين .. إلى بلادي الوادعة
وتركت آثاري لديك رواية
لم تكتمل .. في عرضها متقطعة
لم تكتمل كل الفصول .. وأن تلك
في آخر اللحظات كانت ممتعة
فحفرت اسمي في نقوشك بارزاً
ليكون خاتمة الفصول الاربعة
أهديك أغنية الوداع .. قصيدة
ملتهبة .. وعلى الرباب موقعة
صوت الدليب يشق صمت الليل
في صخب .. يقض مضاجعه
تبتل بالشوق الحبيس بداخلي

في لهفة مشبوبة .. متطلعة ..

في نغمة الطنبور .. في نبراته ..

شجن الغريب .. بكى .. ورقرق أدمعه

أواه .. من وتر .. ينادي باكياً ..

« وينقرش النعام » فيه أصابعه

أغسطس ٧٤

# نقوش على البحر